فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٨ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

النامية الايجابية من مذهب نيتشه

السوبرمان

أو الانسان الأعلى

للأستاذ خليل هنداوى

وهذه هى الميزات التى يراها نيتشه تميز السوبرمان من الانسان ، يرى أن فضيلة الانسان فضيلة تحمل إلى الناس جميعهم بدون فرق ولا استثناء ، بينا يرى أن فضيلة السوبرمان لا تعنى إلا فريقاً منتخباً ضئيلا سامياً . ألا ترى أوروبا اليوم جميعها تؤمن بديمقراطية تساوى بين طبقات الناس مهما اختلفت أصولا وفروعاً . ونيتشه لا يرى فى هذه الديمقراطية شيئاً طبيعياً ، هو يؤمن « باللامادة » ويريد أن يخلق طبقة ارستقراطية تتألف من أنواع محدودة ، لكل نوع تعاليمه وأعماله وواجباته المكتوبة عليه ، وأسفل هذه الأنواع هو مجموع الفئات المتوسطة التى يدور بأيديها دولاب المجتمع . فالنقش والتجارة والصناعة والعلم والفن تحتاج إلى عمال يخدمون برضاهم هذه الصناعات . يطيعون مختارين ويعملون مريدين . هؤلاء هم عبيد لأنهم ينفذون إرادة من هم اسمى منهم . وحق لهم أن تكون منهم الطاعة ، وأن يحتملوا من الألم كثيراً لأن الحقيقة قاسية . على أن هؤلاء يجب ان تضمن لهم أسباب حياتهم فيكونون أكثر هناء واطمئناناً وسعادة من رؤسائهم ، لا يشغل لهم إلا أن يواصلوا دورة الحياة ... أما الايمان الدينى عندهم فهو نعمة لا تثمن ، لأنه يذهب كأشعة الشمس فاقة وجودهم المظلم ، يعلمهم القناعة والسكينة ويجعل واجباً عليهم احتمال إرادة غيرهم . وهو الذى يبث فى أرواحهم هذا الوهم الجميل القائل بأن هنالك نظاماً للأشياء . وأنهم هم أنفسهم لهم مكان نافع فى نظام الكائنات والأشياء . هؤلاء يقول لهم زرادشت : « لكم لكم العبودية والايمان ! » . وفوق هذا الفريق فريق المدبرين وحارسى الشريعة والذائدين عن النظام والبلاد والمقاتلين وأمير البلاد . إن هؤلاء يديرون الأمر ويسوسون الملك بسلطتهم . إن هؤلاء هم الذ تخضع لهم إرادة العبيد حين يريدون . أما الفريق الأول فهو فر السادة والعقلاء وخالقى « القيم الاجتماعية » . هؤلاء يجب أن ين تأثيرهم فى قلب المجتمع ، هؤلاء يجب أن يهبطوا إلى الأرض ينزلون فيها بين الناس منزلة الاله الذى يقدسه النصارى . هؤلاء السادة ولهم وحدهم صنعت فضيلة السوبرمان

وهذه الفضيلة لا تتميز من غيرها بأنها فضيلة ارستقراط حسب ، ولكنها تخالفها فى المثل الأعلى الذى ضربته ، أما الانس الفاضل فى الشريعة المسيحية أو شريعة الزهاد فهو الذى يخط حياته لمثل أعلى ، ويضحى بميوله ورغباته فى سبيل عبادة الخ والحق . أما العاقل فى شريعة نيتشه فهو غير ذلك . العاقل هـ خالق « القيم » وليست مهنته إلا خلقها ! لا شىء فى الطبي له قيمة بنفسه ، إن عالم الحقيقة هو مادة واحدة لا معنى لها و غاية إلا المعنى أو الغاية التى نراها نحن فيها ونعطيها إياها الفيلسوف الحقيقى هو الرجل الذى ينطوى على شخصية قادرة م خلق الوجود ، ويبعث فى الناس الرغبة ويستهويهم ، هو الشاه العبقرى الذى تتألف فى نفسه « القيم الاجتماعية » التى يؤم بها رجال عصر ! هو مفكر فى الاشياء ، لكن تفكيره ليس إ الشريعة السامية التى تهتز لها أمم ! يبدع بحرية ما يشاء مستق الفكر سائغاً من الخير والشر ، من الحقيقة وغير الحقيقة . هـ يبدع حقيقته ، ويخلق شريعته وفضيلته . إنه رجل مجرب لا يف يتحرى عن صور لعوالم جديدة . تراه يضحى بحياته وبسعادته ويفادى بحياة الآخرين الذين يجرون فى مضماره وبسعادتهم دو أن يتزعزع . إنه لاعب جرىء يتحدى الحظ ، لا يحفل إ كانت لعبته الحياة أو الموت

إن العاقل عند نيتشه ليس بذى الروح الهادئ المسالم . هو مو لا يعد الناس بالسلام وبالفرح الهادئ باقتطاف ثمرات عملهم . ولكن يدفعهم إلى الحرب يلمع بين عيونهم الرجاء بالنصر والأمل بالظف يقول زرادشت :

« إنكم ستنتحرون عن أعدائكم ، إنكم ستقاتلون وستحاربو من أجل فكرتكم ، فاذا غلبت فكرتكم فليدفعكم إخلاصكم إل السرور بهزيمتها . إنكم تحاربون السلم كوسيلة لحروب جديدة على أن السلم الصغير هو خير من السلم الكبير

أنا لا أنصح لكم بالعمل ، ولا أنصح لكم بالسلم ، ولكن أوصيكم بالظفر . ليكن عملكم حرباً وسلمكم ظفراً

يقولون : إن السبب الشريف يقدس الحرب . وأنا أقول لكم : إن الحرب الشريفة هي التي تقدس كل سبب

لا يجب أن يكون لكم من الأعداء إلا المبغضون لا الحقيرون ، وإذ ذاك تكونون أولى زهو وكبرياء بأعدائكم ، حتى ليغدو ظفرهم عليكم ظفراً لكم . »

إن القتال عند نيتشه هو خير سبب يعمل على التقدم ، لأنه يُرى مواضع الضعف ومواضع القوة . يرى الصحة والمرض في المادة والأخلاق . وقد يكون القتال تجربة خطرة يريده العاقل ليزيد في حيوية الحياة ويزيد آفاقها سعة . وليدرك قيمة فكرة ما وقدرتها على الاحاطة بمعاني الحياة . الحرب نعمة حسنة في ذاتها وتنبأ نيتشه بأن أوربا ستدخل في عصر قتال تتطاحن فيه شعوبها في سبيل سيادة العالم

وبينما كانت « القيم الاجتماعية » الأولى تضع الشفقة في رأس هذه القيم ، كان زرادشت يعلم رفاقه بأن الارادة هي الفضيلة العليا « هذه هي الشريعة الجديدة التي أوصيكم بها ، كونوا قساة أشداء » إذ يجب في الحقيقة على المبدع بأن يكون قاسياً عنيفاً إذا أراد أن يُخضع الحظ ، أو أراد أن يوحي بتعاليم جديدة . إن الشفقة ليست عنده بفضيلة ، ولكنها خطر من أكبر الأخطار التي تلاقيه .

ألم يسمع « زرادشت » حول كهفه أصوات اليأس يرددها الرجال الذين يدعونه « تعال ! تعال ! قد جاء الوقت » فلو أن الشفقة عليهم استهوته اليهم لكتبت عليه الغلبة . إنه يحتاج إلى قوة قاسية تصرف عنه تأثير هذا الدعاء الباكي .

بينما كان زرادشت يغادر بيته لاحقاً اليائسين الذين يجأرون له ، نزل مكاناً موحشاً خُيِّل اليه أنه مدينة الموتى . هنالك الصخور البارزة السوداء والشماريخ الحمراء ، حيث لا تنبت عشبة ولا ينجم كوكب ولا يزقزق عصفور . هذا هو واد ينفر منه الحيوان ، لا يأوي اليه إلا الأفاعي العظيمة الزرقاء ، تأتيه في كهولتها لتعانق الموت فيه . في هذا المكان المروع أبصر « زرادشت » هيكل إنسان قبيح ، فلم يشأ أن يتأمله ، وهم بأن يركض ما استطاع فراراً من هذا المسخ . ولكن صوتاً أهاب به كأنه غرغرة محتضر أو بقية ماء في منحدر

— زرادشت ، زرادشت ! نبئني بسري ! ما هو الانتقام من الشاهد ؟

وفجأة استولت على زرادشت شفقة غريبة ، ولكنه سرعان ما استعاد قسوته وصرامته ، فأجابه

— أنا أعرفك ... أنت قاتل الآله ، دعني أسر في طريق ؛ أنت لم تحتمل من كان يراك ويطلع عليك في كل ارتعاشك وشناعتك واشمئزازك أنت يا أقبح الرجال ! فأخذت ثأرك من هذا الشاهد » خرج زرادشت ظافراً من هذه التجربة التي هلك فيها الآله . إن إله المحبة قدمات وقد خنقته شفقته باطلاعه على كل نقائص الانسانية وشناعاتها الخفية . إن شفقته لا تعرف حداً . إنه وطأ الأماكن الأكثر عمقاً والأسحق بعداً من النفوس البشرية . ولهذا مات ، لأن الانسان لم يعد بقادر أن يحتمل شاهداً يقظ العين على خزيه وعيوبه . أحس زرادشت بموجة الحياة تغمر نفسه إزاء هذا المشهد ، فنفض من طرفه وهم بأن يتابع سبيله ، معتقداً بأن متابعته للطريق أجدى عليه من أن يهدر أيام عمره هدراً في سبيل الجلوس إلى « جسد » لا ينفع فيه دواء . وفي صنعه هذا لم ينج من الموت وحده فحسب ، بل اكتسب مع نجاته حب هذا الانسان الكريه . أما الانسان الكريه الذي كان يبغض الآله والرحماء فانه انحنى خضوعاً إزاء صرامة زرادشت وقبل أن يكون أحد الطارقين باب مثواه

(يتبع)

خليل شيراوي

وزارة المعارف العمومية

اعلان

يوجد بمخازن وزارة المعارف بدرب الجاميز كميات من مشق الخط الديواني لواضعه الأستاذ مصطفى بك غزلان وهذا المشق مكون من جزئين كل منهما في كراستين كبيرة وصغيرة ، وهو يباع بسعر ثلاثين مليما للكراسة الكبيرة من كل جزء ، وعشرين مليما للكراسة الصغيرة ، مع خصم ١/٣ من الثمن عند شراء خمسين نسخة فأكثر